قصر متنها وتقارب طرفيها! **قُلْتُ**: لأمر ما يسود، من يسودّ. وما ذاك إلا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى دليلاً من اعترف بفضلها. وصدق بقول رسول الله ﷺ فيها أنّ علم التوحيد من الله تعالى بمكان، وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضيع بضيعه، ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز. فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وإنافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه، ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلو من خشيته وبعده من النظر لعاقبته. اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك. وتسمى: سورة الأساس لاشتمالها على أصول الدين. وروى أبيّ وأنس عن النبي ﷺ: «أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد»[1]. يعني: ما خلقت إلا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة. عن رسول الله ﷺ أنه سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد فقال: «وجبت». قيل: يا رسول الله وما وجبت؟ قال: «وجبت له الجنة»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## سورة الفلق مختلف فيها

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾.

الفلق والفرق الصبح لأنّ الليل يفلق عنه، ويفرق فعل بمعنى مفعول. يقال في المثل هو أبين من فلق الصبح، ومن فرق الصبح. ومنه قولهم: سطع الفرقان، إذا طلع الفجر. وقيل: هو كل ما يفلقه الله كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك. وقيل: هو وادٍ في جهنم أوجب فيها. من قولهم: لما اطمأنّ من الأرض الفلق، والجمع فلقان. وعن بعض الصحابة أنه قدم الشام فرأى دور أهل الذمّة وماهم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم. فقال: لا أبالي أليس من ورائهم الفلق. فقيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدّة حرّه.

مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾.

**﴿من شر ما خلق﴾** من شر خلقه وشرهم، ما يفعله المكلفون[3] من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارّة بعضهم بعضًا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك. وما يفعله غير المكلفين منه من الأكل والنهس واللدغ والعض كالسباع والحشرات، وما وضعه الله في الموات من أنواع الضرر كالإحراق في النار والقتل في السم.

وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾.

والغاسق الليل إذا اعتكر ظلامه، من قوله تعالى: ﴿إلى غسق الليل﴾[4] ومنه غسقت العين امتلأت دمعًا، وغسقت الجراحة امتلأت دمًا. ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء. ويقال: وقبت الشمس إذا غابت. وفي الحديث: لما رأى الشمس قد وقبت قال: «هذا حين حلها». يعني صلاة المغرب[5]. وقيل: هو القمر إذا امتلأ. وعن عائشة رضي الله عنها: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأشار إلى القمر فقال: «تعوّذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب»[6]. ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده. ويجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات، ووقبه ضربه ونقبه، والوقب النقب. ومنه وقبة الثريد والتعوّذ من شر الليل لأنّ انبثاثه فيه أكثر، والتحرّز منه أصعب. ومنه قولهم: الليل أخفى للويل. وقولهم: أغدر الليل، لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر. وأسند الشر إليه لملابسته له من حدوثه فيه.

وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾.

**﴿النفاثات﴾** النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدًا في خيوط وينفثن عليها[7] ويرقين، والنفث النفخ مع ريق، ولا تأثير لذلك اللهم إلا إذا كان ثم

---

(1) قال أحمد: نقل سيبويه أنه سمع بعض الجفاة من العرب يقرأ: ولم يكن أحد كفواً له، وجرى هذا الجلف على عادته، فجفا طبعه عن لطف المعنى لأجله اقتضى تقديم الظرف مع الخبر على الإسم، وذلك أنّ الغرض التي سيقت له الآية نفى المكافأة والمساواة عن ذات الله تعالى فكان تقديم المكافأة المقصود بأن يسلب عنه أولى، ثم لم قدّمت لتسلب نكر معها الظرف ليبين الذات المقدّسة بسلب المكافأة، والله أعلم.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في سورة الإخلاص (الحديث رقم: 2897)، وأخرجه النسائي في كتاب: الافتتاح، باب: الفضل في قراءة: ﴿قل هو الله أحد﴾ (الحديث رقم: 994).

(3) قال أحمد: لا يسعه على قاعدته الفاسدة التي هي من جملة ما يدخل تحت هذه الاستعاذة إلا صرف الشر إلى ما يعتقده خالقاً = لأفعاله، أو لما هو غير فاعل له البتة كالموات، وأما صرف الاستعاذة إلى ما يفعله الله تعالى بعباده من أنواع المحن والبلايا وغير ذلك فلا؛ لأنه يعتقد أنّ الله لا يخلق أفعال الحيوانات، وإنما هم يخلقونها؟ لأنها شر والله تعالى لا يخلقه لقبحه، كل ذلك تفريع على قاعدة الصلاح والأصلح التي وضح فسادها حتى حرّف بعض القدرية الآية فقرأ: ﴿من شر ما خلق﴾ بتنوين وجعل ما نافية.

(4) سورة الإسراء، الآية: 78.

(5) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث، زيلعي 4/335.

(6) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المعوذتين (الحديث رقم: 3366).

(7) قال أحمد: وقد تقدّم أنّ قاعدة القدرية إنكار حقيقة السحر، على أنّ الكتاب والسنة قد وردا بوقوعه، والأمر بالتعوّذ منه، وقد سحر ﷺ=

إطعام شيء ضار أو سقيه أو إشمامه أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه. ولكنّ الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلاً على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع إليهنّ وإلى نفثهنّ، والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبؤن به.

**فإن قُلْتَ:** فما معنى الاستعاذة من شرهنّ؟[1] **قُلْتُ:** فيها ثلاثة أوجه: أحدها أن يستعاذ من عملهنّ الذي هو صنعة السحر ومن إثمهنّ في ذلك، والثاني أن يستعاذ من فتنتهنّ الناس بسحرهنّ وما يخدعنهم به من باطلهنّ، والثالث أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهنّ. ويجوز أن يراد بهنّ النساء الكيادات، من قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[2] تشبيهًا لكيدهنّ بالسحر والنفث في العقد، أو اللاتي يفتنّ الرجال بتعرّضهنّ لهم وعرضهنّ محاسنهنّ كأنهنّ يسحرنهم بذلك.

وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾.

**﴿إذا حسد﴾** إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود، لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضارّ لنفسه لاغتمامه بسرور غيره. وعن عمر بن عبد العزيز: لم أر ظالمًا أشبه بالمظلوم من حاسد. ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه وسماجة حاله في وقت حسده وإظهاره أثره.

**فإن قُلْتَ:** قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟ **قُلْتُ:** قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر.

**فإن قُلْتَ:** فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه؟ **قُلْتُ:** عرفت النفاثات؛ لأنّ كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لأنّ كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض. وكذلك كل حاسد لا يضر، وربّ حسد محمود وهو الحسد في الخيرات، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا حسد إلا في اثنتين»[3]. وقال أبو تمام:

وما حاسد في المكرمات بحاسد

وقال:

إنّ العلا حسن في مثلها الحسد

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ المعوّذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها»[4].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## سورة الناس مكية

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾.

قرئ قل أعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام، ونحوه فخذ أربعة.

**فإن قُلْتَ:** لم قيل **﴿برب الناس﴾** مضافًا إليهم خاصةً؟[5] **قُلْتُ:** لأنّ الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو إلٰههم ومعبودهم، كما يستغيث بعض الموالي إذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي أمرهم.

مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾.

**فإن قُلْتَ:** **﴿ملك الناس إله الناس﴾** ما هما من رب الناس؟ **قُلْتُ:** هما عطف بيان كقولك: سيرة أبي حفص عمر الفاروق. بين بملك الناس ثم زيد بيانًا بإلٰه الناس لأنه قد يقال لغيره: رب الناس. كقوله: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله. وقد يقال: ملك الناس. وأمّا إلٰه الناس فخاص لا شركة فيه فَجُعِلَ غاية البيان.

**فإن قُلْتَ:** فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرّة واحدة؟ **قُلْتُ:** لأنّ عطف البيان للبيان فكان مظنةً للإظهار دون الإضمار.

مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾.

**﴿الوسواس﴾** اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأمّا المصدر فوسواس بالكسر كزلزال. والمراد به الشيطان، سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه؛ لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه، أو أريد ذو الوسواس، والوسوسة الصوت الخفي، ومنه وسواس الحلي، و**﴿الخناس﴾** الذي عادته أن يخنس، منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير:

---

= في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر، والحديث مشهور. وإنما الزمخشري استفزه الهوى حتى أنكر ما عرف، وما به إلا أن يتبع اعتزاله ويغطي بكفه وجه الغزالة.

(1) قال أحمد: وهذا من الطراز الأوّل فعدّ عنه جانباً، ولو فسر غيره النفاثات في العقد بالمتخيلات من النساء ولسن ساحرات حتى يتم إنكار وجود السحر، لعدّه من بدع التفاسير.

(2) سورة يوسف، الآية: 28.

(3) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة = (الحديث رقم: 73)، وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (الحديث رقم: 268/816).

(4) أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، الزيلعي 4/ 338 وقال ابن حجر: والحديث المرفوع في ذلك موضوع الكاف الشاف ص 190.

(5) قال أحمد: وفي التخصيص جرى على عادة الاستعطاف، فإنه معه أتم.